النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح (*)

بقلم : الدكتور علي القاسمي
المنظمة الاسلامية للتربية
والعلوم والثقافة ــ الرباط ــ

يعرف علم المصطلح بأنه العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والألفاظ اللغوية التي تعبر عنها. فكل نشاط انساني وكل حقل من حقول المعرفة البشرية يتوفر على مجموعة كبيرة من المفاهيم التي ترتبط فيما بينها داخل الحقل الواحد على هيئة نظام متكامل وتكون على علاقات بمفاهيم الحقول الأخرى، كما يتوفر كل حقل على مجموعة كبيرة من المصطلحات التي تعبر عن مفاهيمه لغويا. ويصاحب كل تقدم وتطور في حقول المعرفة نمو وزيادة في عدد المفاهيم التي تحتاج الى مصطلحات تقابلها. فالوحدة التي لا انفصام لها بين المفهوم والمصطلح قائمة على التعريف العلمي الدقيق. ومصطلحات علم محدد من العلوم تشكل فيما بينها نظاما لا يحقق الغاية من وجوده ما لم تكن العلاقات المتبادلة بين عناصره متميزة دلاليا ومتجاوبة مع النظام المفهومي للعلم موضوع البحث. ولا يتأتى لنا إدراك كنه النظام المفهومي لعلم من العلوم حتى نحقق تصنيفا مفهوميا يقوم على أسس موضوعية ومنطقية.

وعلم المصطلح علم مشترك بين اللسانيات والمنطق وعلم الوجود وعلم المعرفة والتوثيق وحقول التخصص العلمي، وينعته الباحثون السوفيتيون بأنه «علم العلوم» (1)، وعلم المصطلح بمفهومه الحديث ترعرع في أواخر القرن الميلادي المنصرم في أوربا نتيجة لمحاولات علماء الأحياء والكيمياء الرامية الى توحيد قواعد وضع المصطلحات على النطاق الدولي. وبين عامي 1906و 1928 صدر معجم شلومان المصور للمصطلحات التقنية في 16 مجلدا، وبست لغات (2)، وتكمن أهمية هذا المعجم في اشتراك مجموعة من الخبراء الدوليين في تصنيفه وأنه لم يرتب المصطلحات ألفبائيا وإنما رتبها على أساس المفاهيم والعلاقات القائمة بينها بحيث يسهم تصنيف المفاهيم ذاته في توضيح مدلول المصطلح وتعريفه. والطريف

(*) ألقي البحث في ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم / التي نظمتها كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس، 20 ــ 22 نوفمبر 1986).

(1) O.S. Akhmanova, «Terminology and Terminologies» in INFOTERM, Terminologie et disciplines connexes 1965-1985 (ed). (Wein : Hermann Bohlaus Nachf, 1985).

(2) A. Schlomman's Illustrated Technical vocabularies

في الأمر، أن ما يعده الغربيون أسلوبا جديدا في صناعة المعجم، نجد أنه من أقدم الأساليب في تاريخ صناعة المعجم العربي، إذ أن أقدم المعاجم العربية كانت متخصصة واتبعت الترتيب الموضوعي، ومن الامثلة على ذلك المعاجم التي ألفها عبد الملك بن قريب الأصمعي المتوفى سنة 217هـ، إذ كان كل واحد منها يتناول موضوعا منفردا كالابل، والخيل، والشاة، وخلق الانسان، والنبات والشجر، وأضرابها. وفي كتاب الابل مثلا يقسم الأصمعي المفردات اللغوية (أو المصطلحات في هذه الحالة حقا) بحسب موضوعاتها مثل : نتاج الابل، وحلبها، وأسماء أعضائها، وألوانها، وطريقة ورودها الماء، وأدوائها، وسيرها، وما الى ذلك. ولعل نصا صغيرا من كتابه (الابل) يوضح لنا أصول هذه الطريقة التي استخدمها جهابذة علم المصطلح في القرن العشرين. واليكم نصا يتناول ولد الناقة :

«فإذا ألقت (الناقة) ولدها، فهو ساعة يقع (شليل)، فإذا وقع عليه اسم التذكير والتأنيث، فإن كان ذكرا فهو (سقب)، وإن كان أنثى فهو (حائل) قال أبو ذؤيب :

فتلك التي لا يبرح القلب حبها
ولا ذكرها ما أرزمت أم حائل

وقال الاسدي :

من عهدة العام وعام قابـــل
ملقوحة في بطن ناب حائـــل

فإذا قوى ومشى فهو (راشح) وهي (المرشح) وهي (المطفل) ما دام ولدها صغيرا، فإذا ارتفع عن الرشح فهو (الجادل)... (3).

وفي علم المصطلح الحديث، يمكن الاشارة الى ثلاث مدارس فكرية متميزة، أولاها، مدرسة براغ التي نمت من مدرسة براغ اللسانية الوظيفية والتي أرست نظريات على أعمال دي سوسير التي تؤكد الجانب الوظيفي للغة، وثانيها مدرسة فينا التي تنطلق من نظرية مؤسسها المهندس النمساوي فيستر Wüster المعروضة في أطروحته بجامعة برلين عام 1931 بعنوان «التقييس الدولي للغة التقنية» وينظر فيستر الى المصطلحات بوصفها وسيلة اتصال لصيقة بطبيعة المفاهيم، والعلاقات فيما بينها، وخصائصها، ووصفها وتعريفها، وصياغة المصطلحات، وتقييس المفاهيم والمصطلحات وتدويلها. وثالث هذه المدارس، المدرسة السوفياتية التي أسسها اثنان من المهندسين السوفيت، عضو أكاديمية العلوم السوفيتية شابلجين (Čaplygin)والمصطلحي المرموق لوته (Lotte)، وقد تأثرت هذه المدرسة بأعمال النمساوي فيستر وتؤكد هذه المدرسة أهمية تقييس المصطلحات وتوحيدها. ويبدو أن مدرسة فينا هي أكثر هذه المدارس نشاطا بفضل (مركز المعلومات عن المصطلحات INFOTERM) الذي تأسس عام 1971 بتعاون بين اليونسكو والحكومة النمساوية.

وتتفق جميع هذه المدارس الفكرية على أن لعلم المصطلح جانبين : جانب نظري وآخر عملي، فالجانب النظري يتمثل في البحث في النظرية العامة والنظرية الخاصة لعلم المصطلح، أما الجانب العملي فيتبلور في وضع المصطلحات وتوحيدها، وتوثيقها (بما في ذلك استخدام بنوك المصطلحات أداة لخزن المصطلحات ومعالجتها واسترجاعها).

والفرق بين النظرية العامة والنظرية الخاصة لعلم المصطلح، يشبه الى حد كبير الفرق بين (علم اللغة العام) و(علم اللغة الخاص) ففي حين يتناول علم اللغة العام دراسة طبيعة اللغة ونظامها بصورة عامة، ينصب علم اللغة الخاص على دراسة لغة معينة وتحليلها. وهكذا فإن النظرية العامة لعلم المصطلح تبحث في المبادىء العامة التي تحكم وضع

(3) انظر علي القاسمي، «ترتيب مداخل المعجم» في اللسان العربي، ع 19 (1982) ص ص 14—30.

كمصطلحات طبقا للعلاقات القائمة بين المفاهيم العلمية، وتعالج المشكلات المشتركة بين جميع اللغات وفي حقول المعرفة كافة، أما النظريات الخاصة لعلم المصطلح فهي تقتصر على دراسة المشكلات المتعلقة بمصطلحات حقل واحد من حقول المعرفة كمصطلحات الكيمياء أو الأحياء أو النقد الأدبي، أو غير ذلك وفي لغة معينة بذاتها كاللغة العربية أو الفرنسية أو السواحيلية، أو غيرها.

ومن أهم موضوعات البحث في النظرية العامة لعلم المصطلح موضوعات طبيعة المفاهيم، وتكوينها، وخصائصها والعلاقات القائمة فيما بينها، وطبيعة العلاقة بين المفهوم والشيء المخصوص، وتعريفات المفهوم، وكيفية تخصيص المصطلح للمفهوم والعكس أي تخصيص المفهوم للمصطلح، وطبيعة للمصطلحات، ووضعها، وتقييسها.

وهنالك ثلاثة اتجاهات في البحوث النظرية في علم المصطلح هي : الاتجاه الموضوعي، والاتجاه الفلسفي، والاتجاه اللساني (4)، فالاتجاه الموضوعي يضع في مركز الثقل المفهوم وعلاقاته بالمفاهيم المجاورة الأخرى، وكذلك المطابقة بين المفهوم والمصطلح، وتخصيص المصطلحات للمفاهيم. ويتبنى هذا الاتجاه التطبيقات المصطلحية بدلا من التطبيقات المعجمية من حيث ترتيب المادة أي أنه يرتب المصطلحات طبقا لموضوعاتها بدلا من ترتيبها ألفبائيا.

وأما الاتجاه الفلسفي فهو يشابه الى حد كبير الاتجاه الموضوعي. وهو يؤكد ضرورة تصنيف المفاهيم طبقا الى أصناف فلسفية، وهكذا فإن البحث ينصب على إيجاد نظريات للتصنيف. وبهذا المفهوم يكون علم المصطلح وعلم التوثيق موضوع دراسة مشتركة. ويمكن الوقوف على آثار هذا الاتجاه في اليونسكو حيث يلحق قسم المصطلحات بإدارة التوثيق.

وأما الاتجاه اللغوي فيقوم على الفكرة القائلة بأن المصطلحات تشكل جزءا من ألفاظ اللغة. ولهذا فإن البحث في ظاهرة المصطلحات يستخدم وسائل لسانية بما فيها الوسائل المعجمية.

وتعنى النظرية العامة لعلم المصطلح بشكل خاص بتحديد المبادىء المصطلحية الواجبة التطبيق في وضع المصطلحات وتوحيدها. وكذلك تحديد طرائق الاختيار بين المبادىء المتضاربة. فمثلا من المتطلبات أو الشروط الواجب توفرها في المصطلح الجيد الدقة، والايجاز،وسهولة اللفظ، وقابليته للاشتقاق، وصحته لغويا والاستعمال (5)، ولكن التضارب قد يقع بين دقة المصطلح التي تتطلب أكثر من كلمة واحدة أحيانا وبين الايجاز الذي ينضوي تحت مبدإ الاقتصاد في اللغة، أو يقع التضارب بين قابلية المصطلح للاشتقاق وبين الاستعمال. ولا ضرب مثلا على ذلك، فقد حدثني الأستاذ أحمد الأخضر غزال ذات يوم عن توصله الى وضع كلمة (أفلك) وجمعها (أفالك) على وزن (أرنب ــ أرانب) للتعبير عن القمر الصناعي الذي يدور في فلك محدد. ولا شك أن الكلمة الجديدة هي أوجز وأكثر قابلية للاشتقاق من مصطلح (القمر الصناعي) غير أن المصطلح الاخير قد درج في الاستعمال وحقق قدرا كبيرا من الشيوع. ففي مثل هذه الحالات تبحث النظرية العامة لعلم المصطلح في طرائق الاختيار بين المبادىء المتضاربة.

هذه نبذة موجزة جدا عن الخطوط العريضة للنظرية العامة لعلم المصطلح التي ما زالت في دور النمو والتطور، ويزداد عدد مراكز البحث التي تعنى بهذه النظرية في جميع أنحاء العالم بما في ذلك الوطن العربي الذي يطمح الى توحيد كلمته.

(4) Helmut Felber, Terminology Manual (Paris : INFOTERM, 1984).

(5) انظر « المبادىء الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها » التي أقرتها ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي بالرباط 1981 المنشورة في اللسان العربي، ع 18، ص ص 175 ــ 178.